للذكرى الخالدة

١٩٥١٢٩٢٧

الغــلاف والإخــراج الفني
للفنان : أحــمــد اللبــاد

للذكرى الخالدة

محمد عامر



«واذكر عبدنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار....»

«إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار»

(سورة ص آية ٤٧، ٤٨)



إلى

حسن سرور.. (المواطن مصرى)

....

ماذا يفيد الإنسان لو خسر العالم

وكسب نفسه ؟!



مُدْخَل

«... من كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها...»

«من كان يريد حرث الآخرة
نزد له فى حرثه...»



لستُ وفياً لأى مشروع من أي نوع ..
ما الذى يجعلنى وفياً لمشروع لا يخصنى..
فقط أنا وفىٌ لتمام حريتى ..

أنا جالس على مكتبى وحيداً..
الورقة بيضاء تماماً.. قلمى بيدى..
لايقف أحد ورائى يملى علىَّ، لا يجلس واحد
فوق أكتافى يجبرنى على شىءٍ.. لست مُكبّلاً..
أنا حرٌ تماماً.. لأَستَغِلَّ الفرصة إذن كاملة.. ولتنطلق أى (محمد) فى فضاء الأبيض..
التصنيفات التى صنفتُ بها أعمالى - لم تكن إلا شكلاً
من أشكال العجز عن استخدام حريتى كاملة.. وعندما

تكون لى قدرة على نشر هذه الأعمال نشراً موسعاً
سأحذف تلك التصنيفات.
فى الكتابة (أنا) غير خاضع..
فى المرات التى خضعتُ.. كانت الموهبة تثأر لنفسها
منى.. وكانت تفعل بى أشياء يخاصمنى بسببها أهل الملل والمصالح.
الموهبة...!
أُقرُّ الأمر لى إذن؟!
أقول لنفسى إذ أسير فى الشارع.. «أنا فنان والناس لا يعرفون ذلك.. انظر إلى الدنيا يافنان.. انظر»
ثم تأخذ رجلاى فى تخبيط بعضهما..
أستمر كذلك مسافة.. تصعد إلى ذهنى فكرةُ أنه من الضرورى أن أتصالح مع ذاتى.. فأقول :
أى محمد
يا حبيبى..
لست فناناً.. ولست كاتباً.. لست ابن شرعة..
لأنك فقط M.A.Fadel

أيها السادة
سلام عليكم

الفصل الأول

«والذين يقــولون ربنا هب لنا من أزواجنا
وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتـقين إمامًا*
أولئك يُجْزَون الغرفـة بما صبـروا ويُلَقَّوْن
فيها تحية وسلاماً»

(سورة الفرقان آية ٧٤، ٧٥)

«(أنا) الآن.. فى بنطلون بيجامة.. وملابسى كاملة مغسولة ومنشورة..»
«(أنا) الآن.. فى صالة ذات مقاعد مغسولة الأقمشة.. ومكنوسة ومرتبة..»
«(أنا) الآن.. أستمع لمزيكا راقية..»
«(أنا) الآن.. انتهيت من سيجارة.. ومنذ قليل انتهيت من كوب شاى..».
منذ قليل.. رأيت صورة لأختى فى محفظتى الجلد، التى أحبها.. محفظتى بها : البطاقة الشخصية التى بها اسمى واسم والدى واسم جدى، وتاريخ ميلادى، ومحل إقامتى وصورتى..، وكارنيه المؤسسة..، وحجابان..، وورقة فئة «الخمسون قرشاً» وورقة فئة «الخمسة والعشرون قرشاً» وقطعة معدنية فئة «خمسة القروش».
منذ قليل.. فكرت فى الاتصال بأخى الكبير..
منذ فترة طويلة.. أفكر فى حبى الذى كان كفيلاً (لو أننى تعاملت معه فنياً تعاملاً ناضجاً) بتخليدى ضمن عشاق الإنسانية الكبار.
منذ قليل.. اجتمع عصير المعسل وقطران السجائر وبعض شاى.. فى حلقى، بصقت.. سقطت البصقة على المقعد المجاور.. مسحتها وأشعلت سيجارة.

منذ فترة طويلة.. وأنا أحلم بأن تغنى فيروز قصة لى، ومنذ فترة تعلمت أن هذا الحلم مستحيل، لأننى علمت أن فيروز ستتوقف عن الغناء.. أو توقفت فعلاً، ومنذ فترة قصيرة التقيت بمطرب سيستطيع أن يغنى لى قصة.. ووعدته بأنه سيتجاوز حدود العالمية بكثير بعد أن يغنى قصتى.

منذ فترة طويلة.. وأنا أنوى أن أتخذ خطوة حاسمة فى عمرى.. لكننى أؤجلها عسى أن تحدث معجزة صغيرة.. واختلط عندى الحدس بالأمل.

منذ فترة قصيرة.. أخبرت صديقًا لى أننى أحلم بعلاقة مع بنت أوربية ويستحسن أن تكون فرنسية : رفيعة، بيضاء، ذات نهدين كمثريين، طويلة، وفى تركيبتها أبعاد فنية.. كى تستطيع أن تستوعب حريتى.. وكى أقع فى المطب.. وأستوعب حريتها..

حريتى

خرقى.. جنونى.. وتعقلى
رضاى.. وسخطى..
حبى.. وكرهى..
جلالى.. وصغارى..
بهائى.. وانطفائى..
سموقى.. وتهدلى..

حريتها

صمتها.. وتكلمها.. صحتها.. وعلتها.. تطيبها..
وتعفنها.. عطاء شهوتها..وامتناعها.. شموخها..

وهوانها.. حبها لى.. وأحلامها القديمة ..
تنشب مخالبها فى صدرى ووجهى وتقول أيها اللعين
أيها المصرى.. فأباركها وأقول..
كنت أكشف عن جمجمتى لأننى العليم..
كنت أبشر بمن أطهر من البشر الذين
أعدهم وأهيئهم للعرش والتأله..
كنت أرفعهم على راحتى وأهيئهم..
بوركتِ..
أردتُ حجبى..
أنا صانع الآلهة.. والأنبياء.. والقديسين.

حريتنا
أن نهجر الكلام إلى العيون والأيدى.. إلى لغة الجسد
وتكوناته فى فضاءات الأماكن والآماد..
إلى لغة السلالة.. والتاريخ الذى أتشممه فى لغات
الوطن وتفنناته.. إلى لغة التجربة البشرية بلا تحيز
لخصوصية التجارب ومراقيها.

حريتنا
نقف على صدر النيل.. تقول شعراً بلغتها فأفهمها
بلغتى..
أقرأ لها دروب بلادى.. فتغنى كالحمام..

تكتب لى فى كراستى كلمات فأبتسم بحرارة أحلام أبى.. وأزمُّ دماءها المنسابة فى تفشيات الورق وأُمَزْمِزها.. أقبلها فى جبينها.. أمسّد شعرها فتستكين ونرقص فى الشوارع التى حملت قصص الغرام وخطى المظاليم.. تقول.. (أحببت بلادى عندما أحببتك) فأطرب وأضرب كفىَّ بكفيها صانعًا إيقاع الروح.. كى تطير النفس فى مراقى الإيقاع.. أقول لها (هل ستمكننى الآلهة من كتابة عشقنا) فتمسح (حبى) بكفها البيضاء.. مساحة من سطح الهواء البارد فأبصر (ياحبى) من الحمرة والصفرة والمشمشية ونار البرتقالية ومروج الأخضر والأبيض بلاداً.. ومن نزِّ العرق والنعومة والخمش والتقبيل والدعك والهرك والتقليب والحنين - أناساً.. وأرى واحداً.. ياحبى.. إنه (أنا).. يسقط فى مطلق الماء مطلق النار.. أقول أين حبيبتى. فأرى عرقاً يتفصد على جبينها.. قالت.. بلغة مطلق النار مطلق الماء.. ألا ترى.. أنت الآن فى صفاء جوهرى.. فأسقط.

أفيق.. إذ تمرة سقطت على صدرى.. (يا حبى)..قالت بفصاحتى..

قلت.. (هل ستمكننى الآلهة من كتابة عشقنا.. قالت بلغة الأزرق الفوقى.. لعشقى.. الحياةأعطتك الألهة ..ولعشقى الممات أعطتك الألهة ..أفلا تنثنى لمطلقى ..جئتك بالجوهر وريق العسق وفلة الإناث وجمرة النسوان وبخور الكاهنات ومسك الاستوائيات وفجر بنات الجبل وعجمة البنات الرضع وتهتهة الأطفال أفلا تنثنى لمطلقى ..فقلت وأنا متكئ على جذع النخلة ماسكاً ساقىَّ بذراعىَّ المربوطتين ..وأنا فى ثيابى التى خاطها لى (عم شاكر) .. هل ستمكننى الآلهة ..[ثنيت رقبتى لأنظر إليها]

كان ريح طيب يَنْشَدُّ من أطراف أنفى ماسحًا بكفه الطيبة الأرض ..لتبدو مليئة بركاب الأتوبيسات ..و(أنا) أكاد أسقط..

لو سمحت قعدنى جنبك .. لو سمحت ..مش قادر أقف ..لو سمحت .

الفصل الثانى

« ... قل اللهم مالك الملك...»



قالت الخادمة.. ماذا تفعل فى دنياك أيها السيد؟
قلت.. أكتب قصصاً وحكايات يا فاطمة..
قالت.. قصص غرامية
قلت.. وكنت خجلان.. كلا يا فاطمة..
أنا باكتب المرار
قالت.. طيب والنبى اكتب مرارتى.. وضحكتْ

* * *

- انت بتعرفى تقرى؟
- كان نفسى اعرف اقرا واكتب.

* * *

شعر أبيض زحف على رأس فاطمة.. وتريد أن تتزوج من يعولها وأولادها اليتامى.. تقترب من الأربعين.. ونفسها تعوض اللى فاتها.. العمر اللى فاتها.

* * *

آخر مرة رأيت فيها فاطمة كانت واخدة برد ف معدتها وتعبانة، راحت الهرم وراحت مش عارف فين وفين ثم هاهى آخر المطاف...

* * *

لا أعرف عنك يا بطة أكثر من هذا.. اللهم إلا صوت صديقى وهو ينعجن فى لزوجتك..

ثم
شربنا الشاى..
وحكينا..
خرجتى
وخرج صديقى.

* * *

ثم
نمت..

الفصل الثالث

«فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا
يره»
«ومن يعمل مثقال ذرة شرًا
يره»

(سورة الزلزلة آية ٧، ٨)

الأرض التى حرثتُها

يزرعها غيرى

الأرض التى زرعتها

يحصدها غيرى

الحصاد الذى جمعته

تعمل فيه مذراة غيرى لغيرى

مايكال بمكيال لى

يوضع فى أجولة غيرى لغيرى

وماوضع فى أجولتى

يطحن لغيرى

ومايطحن لى

يخبز لغيرى

ومايخبز لى

يأكله غيرى

وأبقى كصديقى رقائق شمعدان

I uuuuo

* * *

المعتل.. يدور فى البار بالعود.. ويحاول أن يجوّد فى غنائه..
السكارى والذين يبغون السكارى.. يرددون وراءه.. ويغنون معه.. عامل البار المفترى.. يغنى منفرداً.. نعم منفرداً..
المعتل قادر على أن يمنح البيرة مرارتها..
المعتل يأخذ الفلوس ويضعها فى جيبه ويبتسم سراً.. ثم يقطع ابتسامته علانية..
قال صديقى.. وكانت رأسى ملقاة على الحائط.. وعيناى معلقتين فى مروحة السقف البعيدة..
[من تحب الآن..؟]
كان قلبى مساوياً للفراغ الذى يشغل الحيز من عينىَّ الى المروحة المعلقة هناك فى السقف العالى علواً لن يتكرر!!
اكتشفت أننى لا أحب فى علانيتى.

* * *

كانت البنت بطة وثرية..
تبنت هموم الفقراء.. وكان ذلك إرثاً من الخال.. (المناضل الكبير)..

وقعت البنت بمحض اختيارها.. الذى هو جبر.. فى مرتبة الزوجية ذات الحرير والحسك .

وهى تقزقز اللب السوبر فى الصالة..
وهى تسمع نشرة الأخبار.. من مونت كارلو .. المذياع ينبىء بمقتل طلاب داخل الحرم.. برصاص..
- بصقت فوارغ اللب.. وقالت.. همّ العيال دول عايزين إيه يعنى..

* * *

قال لىَ شاعر كبير (تحدثت معه - فيما سبق - عن العدم الذى تأصل فىّ..
وكان الكلام بطريقة غير عدمية..)
- إزى العدم
ضحكت.. وقلت : أخذت منه موقفاً عدمياً
بعد أن لم قهقهته الأخيرة.. قلت :
تعرف يا أستاذ..
أنا ملّيتْ من موضوع العدم دا.

* * *

اتركونى عاماً واحداً.. من الحرية والجدران والطعام..
فقط يا أحباب..
اتركونى عاماً واحداً من الحرية والشبع..
يا أحباب
اتركونى..
اتركونى أنتم أحبابى.



الفصل الرابع

«.. يا معشر الجن والإنس
إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار
السموات والأرض فانفذوا ..»

« لا تنفذون إلا بسلطان»

(سورة الرحمن آية ٣٣)

«كم كان رائعاً ومشرفاً أن تمشق صدرك فى هواء الشهادة»
«كم صار مملاً أن تدفع عن وجهك بصقة»
«كم كـان رائعاً وممتـعًا وجـهى فى المرايا وفى عـيـون الأمـهـات والآباء والبنات..
كم صار مُخْزِياً ذلك الوجه بعد تشرفه بصفعات النهى والتأديب»
كم كنت أُحِبُّ أنفى.. الذى كنت أراه هاشـمـيـاً.. مـعـتـمـداً على شـجـرة النسب..
وكم أحـبـبت البنت التى توقـفت أمـامى فى الطريق وقـالت هل أنت إخناتون؟!»

* * *

يا أنا
يابن أبى..!!

* * *

من أين ستأتيك الرصاصة.. المُرْدِيَة؟
ستخرج عليك من أحشائك
ستسقط عليك من رأسك
سيقذفها فم أمك أو نبرة أبيك أو دمعة تسقط من أخيك الصغير أو من رأسه التى جزٌ شعرها بمقص إرادته.. أو من تقطيبة أختك الطفلة الجهمة.. أو من جفاف شفتى أختك الكبرى.. أو من الهدأة والحكمة اللتين سقطتا على أخيك الذى تزوج منذ فترة قصيرة.. أو من ريح المستشفيات العامة أو من شخص لا تراه فى ليل الشوارع الخاوية

* * *

حسبتْ معى فترة زواجهما..
كانت اثنتى عشرة سنة
حسبتْ الفترة التى قضياها معاً كانت سنتين ونصف السنة
حسبتْ نتاج الزواج
كان ثلاثة أطفال وحملاً وميتاً
حسبتْ حبها
فقالت (أهو راجل وخلاص.. وكويس انه بيبعت فلوس كتيرة وخلاص.. يعنى أعمل إيه يعنى).
حسبتِ حبى لها
وجدته لابد أن يكون كلاماً ومناجاة ومناغاة وبس
حسبتَ حبها لى وجدته لابد أن يكون: كوب الشاب وعنقود العنب

وصحون الطعام مع العيال، وبسمة بعد الحمام، وضحكاً مع تسريح الشعر، وابتسامة وسماحاً وعدم سماح للعين بأن تسرح من فتحات الثوب المنزلى الرائع.

* * *

يا خلق..
لا تذكرونى بعشق قديم..
ولا تطلبوا منى أن أقول كلاماً جيداً دائماً..
يا خلق..
لستم من يملك سلطة الرضا وسلطة السخط.

* * *

إذا كنت تستطيع أن تعلم أن منجبتك أتاها رجل أو رجال واستطعت أن تدجن معرفتك..

فأنت أقرب للحقيقة..!!

إذا استطعت أن تتفهم أنك لا تحب حبيبتك، وأن حبيبتك لا تحبك، ثم أخذت تحبها وتقبلت محبتها..

فأنت أقرب للحقيقة..!!

إذا تعايشت مع كونك إمكانية مجنون وإمكانية رجل فقد سلطانه على مملكة ذاته..

فأنت أقرب للحقيقة..!!

إذا وجدت أن الناس عفن.. ورأيت أنك ريح طيبة..

فأنت إذن صوفى كبير
وأقرب للحقيقة
إذا استطعتِ أنِ تتفهم ... (أنّ) هو العدد الأكبر لِك..
وأنك لا محالة مرْمِىٌ فى الجحيم، وزاد حبك (له)
فأنت مؤمن حقاً..
وحقاً أنت أقرب للحقيقة..!!

* * *

متى يَشفُ العالم.. ويُنوَّر
ويتخلصَ الجسد من مخزن النفايات

* * *

ياربى..
اعطف علَى؛
فأنا لم أستطع أن أصير غابة من الحرية
والجمال والفن وروحاً طيارة إلى مطلق الكمال..
يا ربى..
أحببنى!!

الفصل الخامس

ذلك الطفل يريد أن يعرف الناس اسم أمه..



أنا بطل من العصور القديمة
إن لم تصح عندك هذه الدعوى، فأنا بطل من العصور الحديثة، إن كانت مجريات الأمور تنفي هذه الدعوى، فأنا بطل من العصور القادمة.
لا تسألني فيم كانت أو كائنة أو ستكون بطولتي..
وكيف لم يعرفني أحد، ولم يُقدِّرْ تلك البطولة أحد..
وهل الأرض جاحدة إلى هذا الحد؟
وهل وصلت الغربة إلى هذا الحد؟

أيها المواطن الصالح
إنني بطل السر

وعندما كانت الفرص تسنح لأن أستعرض عضلاتي..
كنت أستعرضها لداخلي.. فتحييني شياطيني.. وتباركني ملائكتي.. وأُحجبُ عن الأعين (المفنجلة) للسائمة !!

* * *

كنت وإخـوتى الكبـار نتحـدث سوياً على سطح منزلنا.. بطريقة ممتـعة..
(عندما كنا صغاراً) ...

كنا نقول .. مـثـلاً.. «أنا زمـان لما كنت كـبـيـر كنت
أعمل كذا وكذا»
«أنا زمان لما كنت كبـير كنت طويل وتـخين وأبيض
ولى شنب»
أو «أنا امبارح هعمل كذا كذا»

والآن أتحدث مع نفسي بطريقة ممتعة فأقول:
«أنا بكرة كبرت..»
«أنا بكرة فهمت..»
«أنا بكرة قدرت..»
«أنا بكرة اتجوزت..»
«أنا بكرة خلّفت..»
«أنا امبارح مت» !!

* * *

عرف أبى أن الله وهبنى نزوعاً حاداً للحياة.. وكنت ما زلت جنيناً..
فـقـال لى.. خـفف من غلوائك خـفف.. لا تـفعل لا تحس فـأنت مـا زلت
رضيعاً.. (وكنت ما زلت ابن ساعة)
صرت ابن قرن ومازال يمسكنى ومهدى بين يديه وهو يرتل
«خفف لا تفعل لا تقل لا تحس ما زلت رضيعًا وإن

كنت ابن قرن»

عرف أبى أن الله قال لى بعد خلقى...

«اذهب وكن ملكاً للحياة وسيداً للوجود وسلاحك الأوحد الشهوات»

فقال لى أبى بعد خلقى ..

لا تَشْتَه لا ترغب لا تمل.. لا تُرِدْ .. بل فرّ فى هواء الخريف ورقة جافة بل ناشفة تداس علي أرصفة الوجود العدم لتصير شجرة باسقة فى الحديقة البعيدة.

* * *

أذكر ذلك الطفل البعيد...

عندما كان يسمع من يسمى له أمه .. فَيَعْرَى

ماله الآن يريد أن يعرف الناس جميعاً اسم أمه..

أليكتسِي..

أم لِيَعْرَى الخلق؟!

* *

أعرف ذلك الصبى البعيد

«الذى كان يقشعر عندما يسمع هذه الكلمات..

(النبى .. الشيخ .. الولى .. القطب .. الخضر)»

«الذى كان يتساءل فى حزن لماذا لم يرسل الله ملائكته حتى الآن كى يشقوا صدرى ويخرجوا قلبى فيغسلوه ويطهروه وأصير نبياً»

«لماذا لم يكشف الله عنى الحجاب»

أَعْرِفُ ذلك الصبى البعيد
الذى أُرْسِلَتْ له ملائكة يشقون الصدور ويخرجون القلوب ويغسلونها ويطهرونها.. وغنوا له..

«فؤادك طهره الله فى أزل بنور لا يعلم ذلك الأزل إلا رب الآزال ولا يطهر فى هذا النور إلا رب الأنوار»
«فى النور أنت .. وفى الظلمات»
«فى المحبة أنت .. وفى غشوات البغض تعيش»
«فى اليقين أنت..وتحتَ الروح الشكوك والعثرات»
«ذلك قضاء الله فى نبيه الذى هو أنت»
«لست بخاتم ولا أول ولا واسطة ولا بين البينين»
«أنت أنت فى الزمن زمنك أنت وفى المكان مكانك أنت، لست المتصل ولا المنفصل، لست الجسدانى أو الروحانى أو المختلط»
«أنت فى الدرجات وما بين الدرجات»
«لست مبعوثاً لأمة أو لشعب أو لأحد»
«خسرانك هباتك عندما يعرفها أحد..
الذى يعْرِفُ منك تخسره»

أعرف ذلك الفتى البعيد
كان يكنز .. ويحزن لوهن فى الجسم لا يساعد على حمْلٍ أكبر..
مت بين يدى أبى..

غَسَّلَنى.. طَهَّرَنى .. طيَّبنَى..كَفَّنَنى.. حفر لى قبرى .. وضعنى في مثواى وهو يردد تعويذة الخلود

* * *

كان يعرف أنه لا بد من أن يعطى الفقراء كنوزه، فسلبوها .. سُلِبَتْ كنوزه وجلس

يقول ذلك الفتى البعيد

لماذا لا آخذ روحى..!!



الفصل الختام

(إلى كل (مواطن)
كتب اسمه على ظهر كرسى فى مواصلة عامة،
أو على أبواب الهيئات والدورات ،
أو على الجدران..
أو على بطن ساعده
أو على صدر عاشقه

إلى كل من حفر اسمه على صفحة الوجود
ومضى تاركًا ناقوسه يدق فى عالم النسيان)

«فى صباح المآذن .. والنايات.. والشمس التى تجىء من مجاهل الوجود..»
«فى صباح وجوه أبناء وطنى الذين يدورون مع الأرض».
«فى صباح رجوع مقيمى الشعائر، وخروج عربات المدمس واصطفافها فى قلوب الفقراء..»
«فى صباح تمتمات اليقين والحزن والأبدية..»
«فى صباح الأجساد المهملة على الأسرَّة العارية أو على الأرض العارية أو على أرصفة البلاد التى هى وطنى..»

«فى صبـاح الجنس المُبَدَّد فى الدورات وداخل الملابس ووراء الأبواب فى الحجرات وعلى المراتب والوسائد..»
«فى صباح دخان سائقى الميكروباصات.. وهلهلة الواصلين من سفر بعيد إلى سفر قريب فى صباح المبكرين إلى المقابر لدفن العزيز أو الرخيص أو لزيارة الأحـبـاب فى الجـو الرطيب، فى صـبـاح الجنود المبكرين إلى وحداتهم...عندما يتمكن طالب من إمساك خلفة الأتوبيس المبكر، عندما

يبصم آخر موظف فى دفتر الحضور، عندما تسقط قنبلة فى قلب المدينة وتسقط سكين فى قلب امرأة أو رجل أو صبى أو طفل رضيع.. عندما يرفع الجنود أصواتهم عالية.. والتلاميذ فى المدارس

...

تحيا جمهورية مصر العربية

اذكرينى أيتها البلاد

واكتبى اسمى بحروف من نور فوق صدر الطفولة والمهابة والشرف الصرف.

البـــرزخ

(ليلاى)

أعلى هذا النداء فى صحراء شبه الجزيرة ـ المجنون ، ويجدر
بنا فى هذا المقام ألا نذكر اسمه، أعظم به من لقب..
(المجنون).. إنه يَجُبُّ كل الأسماء والكُنى.

(ليلاى)

نداء أعلاه المجنون فى سماء بخارى وسمرقند وطهران
ودمشق والقاهرة والدار البيضاء وغرناطة.

(ليلادى)

نداء رفع رايته فوق دولة العشاق، ولم يستطع سيدى عمر
سوى أن يكاتفه على ذروة جبل النور.

(ليلاى)
نداء ما رأيت أنه يهدد حبى لزينب.

* * *

زينب

جاءت فى هودج إلى مصر
من حقلٍ بذَرَ الدم الحر فى أرض تُنْبِتُ ماءً حياً.
جاءت فى هودج أخضر .. وقاها حر الشمس.
هل تعتقدون ذلك؟
أولاً .. أنا لا أعتقد أن الشمس يمكنها أن تؤذى زينب
حتى شمس الصيف الحالكة لا تستطيع أن تؤذيها.
ثانياً.. هل كانت زينب تستتر من الشمس المحرقة!
إن زينب من الرقة بما لا يجعلها تخاف لسع الشمس.
ثالثًا.. هل كانت زينب وحيدة بحيث إن الشمس تقدر على افتراسها وهى قادمة لتوها ولن يجف دم الحسين بين أصابعها أو على حجر ثوبها؟

جاءت زينب فى هودج بلا حراس
بل كانت الحارس لطفل وحيد يتيم قُتِلَ أبوه فى معركة مايزال ينتصر

فيها.. هل كان أخضرُ هودجها قادراً على دفع ظلمة الصحراء والآساد تستمتع بأكلِ لحم البشر الطيبينَ.. هل استحت الظلمة من أن تكتنف زينب وهى تسكِتُ اليتيم إذ يخاف الليل!

أيها السادة

وليس من قبيل ضعف الإيمان

أظن أن الليل كان قاسياً جداً وأن الظلمة كانت مُفْتَرِسة

وأن الذئاب اشتاقت للحم البشر الطيبين.

السؤال أيها السادة

خاضت زينب عباب النهار ماجت مع الحُلَكِ صارعت الضوارى واحتضنت علياً ودخلت مصر فى صباح يوم مشرقٍ

هل استطاعت زينب الآن بعد خمسة عشر قرناً

من تاريخ الحق أن ترى جفاف الدماء بين أصابعها

أو ترى خفوت الدم الزكى على حجرها أو أن دمعة فى ليل صحراء (لا أعلم كيف استدلت فيها) بردت على وجنتها الذابلة!

* * *

لا تكن أحمق وتصدق أن واحداً لم يستطع أن يحب زينب يمكنه أن يدخل برزخ الأزرق.

لأن البشرية جمعاء تعلم أن زينب هى سيدة البرزخ الأخضر بلا منافس.

ولوكنت لا تصدقنى فتأمل معى قليلاً

(لأننى مُعَنًّى بأن أقنعك بصدق دعواى)

عندما دخلت زينب مصر

جاءت تطلب الأمان

ولما يمض يوم واحد على دخولها حتى كان آخر واحد فى الجنوب أقصد به (أنا) يطلب من زينب

زينب جاءت تطلب شيئاً واحداً

فأصبحت مصر عن بكرة أبيها تطلب منها كل شئ

صارت الأم والست

* * *

لا تتعجب من أننى لا أجتهد فى تأليف الصور الشعرية باعتبارها وسيطاً ناجحاً قادراً على بسط محبتى

فإننى أحب زينب حبًا مبسوطاً تلقائيًا كانبساط النيل على صفحة الوديان.

أهل العرفان خبروا جلالة زينب

أهل الاحتياج خبروا سخاءها

أهل الندم عرفوا شبابيكها القريبة

أهل العشق عرفوا تأبى زينب وامتناعها تماماً عن مطاولات الأقطاب
المتحدث فقط هو الذى خبر كيف مَرَحَتْ زينب فى رياض الطفولة
لأننى الطفل المدلل الذى يرعى فى سهوب الحب.

أحسب أنكم لم تجيدوا فهم .. (الطفلُ المدللُ)

الطفل المدلل : الذى ذُبِحَ على عتبات المحبوبة كل يوم ذبحة كلَ يوم بسكين.
أحسب أنكم لا تطاولونى فى ذلك التدليل
من يريد أن يطاولنى يرفع إصبعه عالياً.

* * *

من يستطيع أن يقترب من البرزخ الزينبى ثم لا يبكى
من يستطيع أن يدخل حى (السيدة زينب) ثم لاتصيبه الشَجَنِيَّةُ الخضراء
من يستطيع أن يتنفس هواء هذا الحى ثم لا تنبسط روحه نحو الآفاق التى تجعلك قادراً على عدم الخوف من تهديدات الدود

من يستطيع أن يفعل أياً من تلك الأفعال فهو
صدئ الروح ولا يحب زينب
من الذى لا يحب زينب
إنه واحد أعرفه
لا يستطيع منع الخراب من أن يضرب فى روحه أو أن يضرب فى جدران الجيران
واحد أعرفه
أراد أن يسطو على مشربياتها بعد أن تركته واقفًا على أبواب أزرقها
واحد أعرفه
أردا أن يسطو على طفل مدلل يُقْتَل كل يوم قتلة
تركته زينب يسطو ويذبح طفلها المدلل بسكين زينبه

* * *

قال الطفل المذبوح..
(لزينب أن تغذينى من حنانها كيف تشاء)

رقم الإيداع : ٢/ ٢٤ / ٩٧
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 19 - 2653 - 5